

## السؤال

هل صحيح القول بأن من الخطأ أن نستعمل كلمة "يا" في الدعاء ( يا الله , يا رب , يا أرحم الراحمين ) ؛ لأن الكبير ينادي على الصغير باستعمال الـ "يا" ولا يصح العكس ؛ ( وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " (13), كما أن الخالق الكبير العزيز العلي العظيم الجبار فاطر السماوات والأرض , يخاطب عباده ورسله باستعمال كلمة "يا" على سبيل المثال: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ... " ، " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... " . ورد في القرآن الكريم فقط مرتين كلمة " يا رب " وكلتاها ليستا لدعاء: (1) " وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا " الفرقان /30 ، وكلمة "يا" هنا دالة على الشكوى فالرسول صلى الله عليه وسلم يشكو بحزن شديد وألم كبير لله ، بأننا هجرنا كتاب الله وأصبحنا نقرأ الكتاب كما البيغاء! للأسف تفرقنا إلى 73 فرقة . (2) " وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ " الزخرف/88 ، وأيضا ها هنا نرى أن الرسول يشكو لله عدم تصديق الناس له وكفرهم فهم لا يؤمنون. إذا كيف نتوجه بدعائنا للرحمن ؛ أ) نستعمل أدعية قرآنية كما دعا الأنبياء والصالحون عليهم السلام . ب) نستعمل أدعية مما دعا الرسول صلى الله عليه وسلم . ت) إذا ما أردنا أن نتوجه للرحمن ونثني عليه بصفاته الحسنى ، نقول: اللهم " إنك " .

## الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

جاء القرآن بتعليم العباد آداب مناجاة ودعاء رب الأرباب جل جلاله ، لتقع هذه المناجاة على أحسن حال ، وليكون ذلك وسيلة لاستجابة الدعاء ، ومن هذه الآداب إسقاط حرف النداء "يا" في الدعاء بما يشعر بقرب المندى سبحانه ، بخلاف دعاء الله سبحانه لعباده فإنه غالبا ما يأتي بحرف النداء "يا" المشيرة إلى أنه سبحانه موصوف بالتعالي والاستغناء عن خلقه ، جاء في " الموافقات " للشاطبي (4 / 202) : " فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ نِدَاءَ اللَّهِ لِلْعِبَادِ لَمْ يَأْتِ فِي الْقُرْآنِ فِي الْغَالِبِ إِلَّا بِـ"يَا" الْمُسْمِيَةِ إِلَى بَعْدِ الْمُنَادِي لِأَنَّ صَاحِبَ النِّدَاءِ مُنَزَّهٌ عَن مَدَانَةِ الْعِبَادِ ، مَوْصُوفٌ بِالتَّعَالِي عَنْهُمْ وَالِاسْتِغْنَاءِ ، فَإِذَا قَرَّرَ نِدَاءَ الْعِبَادِ لِلرَّبِّ أَتَى بِأُمُورٍ تَسْتَدْعِي قُرْبَ الْإِجَابَةِ : مِنْهَا: إِسْقَاطُ حَرْفِ النِّدَاءِ الْمُسْمِيَةِ إِلَى قُرْبِ الْمُنَادَى ، وَأَنَّهُ حَاضِرٌ مَعَ الْمُنَادِي غَيْرُ غَافِلٍ عَنْهُ ؛ فَدَلَّ عَلَى اسْتِشْعَارِ الرَّاغِبِ هَذَا الْمَعْنَى ؛ إِذْ لَمْ يَأْتِ فِي الْغَالِبِ إِلَّا "رَبَّنَا" "رَبَّنَا" كَقَوْلِهِ: ( رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا ) [البقرة: 286] ، ( رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ) [البقرة: 127] . ( رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي ) [آل عمران: 35] . ( رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ) [البقرة: 260] " انتهى .

وكون إسقاط حرف النداء من آداب الدعاء لا يعني أن استعمال حرف النداء خطأ ، أو مكروه ؛ بل هي مقدرة في هذه السياقات السابقة ، والمقدر كالمذكور ، وإنما قصارى ما في الأمر : التنبيه إلى نكتة بلاغية ، في أمر أغلبي ، كما سبق من كلام الشاطبي ، وليس قاعدة مطردة في كل حال .

ثانيا :

جاءت السنن والآثار ، متظاهرة ، باستعمال حرف النداء في الدعاء ، فمن ذلك ما أخرجه البخاري (3350) من دعاء إبراهيم ربه يوم القيامة " يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ( إِنِّي حَرَمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ ) ، وفي حديث الشفاعة الذي أخرجه البخاري (4712) ( ثُمَّ يُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلِّ تَعْطَهُ ، وَاشْفَعْ تُشَفِّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي ، فَأَقُولُ : أُمَّتِي يَا رَبِّ ، أُمَّتِي يَا رَبِّ ، أُمَّتِي يَا رَبِّ ) ، وفي " صحيح مسلم " (920) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ ، وَنَوِّزْ لَهُ فِيهِ ) ، وأخرج مسلم (2380) أيضا من دعاء موسى عليه السلام لربه أن يدلّه على الخضر فقال : ( يَا رَبِّ فِدْلُنِي عَلَيْهِ ) ، وفيه أيضا (2445) من دعاء عائشة : " يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيَّ عَقْرَبًا أَوْ حَيَّةً تَلْدَغُنِي " ، وفي سنن أبي داود (1495): ( عَنْ أَنَسٍ : " أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي ، ثُمَّ دَعَا : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ ) ، وفي " سنن الترمذي " (3524) عن أنس بن مالك ، قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كرهه أمر قال : ( يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ) ، وفي " مسند " أحمد (17143) وغيره عن ربيعة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( أَلْطُوا بِ- يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ) .

ثالثا :

ما جاء في السؤال من أن الكبير ينادي على الصغير باستخدام أداة التنبيه (يا) ولا يصح العكس: كلام غير دقيق ، بدليل ما سبق من الأحاديث ، وزيادة على ذلك فقد جاء صدور الخطاب من البشر لرب العالمين باستخدام أداة النداء (يا) فمن ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه (4487) عن أبي سعيد الخدري ، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ ) ، وفيه أيضا (4625) : ( أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ ، أَلَا وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرَجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤَخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ أَصِحَابِي ) .

وجاء صدور الخطاب من الصغير للكبير من البشر باستخدام أداة النداء (يا) فمن ذلك نداء يوسف لأبيه يعقوب ( إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ) يوسف/ 4 ، ومن ذلك خطاب إخوة يوسف لأخيهم يوسف وهو عزيز مصر ، ( فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ) يوسف/ 88 .

رابعا :

بخصوص الدعاء بلفظ " اللهم " و " يا الله " فليس هناك فرق من حيث المعنى ؛ لأن الراجح من كلام اللغويين أن " اللهم " هي " يا الله " ولكن حُذِفَ من (يا الله ) أداة النداء وَعُوِضَ عنها ميم مشددة مفتوحة في آخر الكلمة , قال القرطبي في تفسيره (4 / 53) " قَوْلُهُ تَعَالَى: " قُلِ اللَّهُمَّ : اِخْتَلَفَ النَّحْوِيُّونَ فِي تَرْكِيبِ لَفْظَةِ " اللَّهُمَّ " بَعْدَ إِجْمَاعِهِمْ أَنَّهَا مَضْمُومَةٌ الْهَاءِ مُشَدَّدَةٌ الْمِيمِ الْمَفْتُوحَةِ ، وَأَنَّهَا مُنَادَى، وَقَدْ جَاءَتْ مُخَفَّفَةً الْمِيمِ فِي قَوْلِ الْأَعْشَى:

كَدَعْوَةٍ مِنْ أَبِي رِيَّاحٍ ... يَسْمَعُهَا - اللَّهُمَّ - الْكِبَارُ

قَالَ الْخَلِيلُ وَسَيْبَوَيْهِ وَجَمِيعُ الْبَصْرِيِّينَ: إِنَّ الْأَصْلَ اللَّهُمَّ: يَا اللَّهُ، فَلَمَّا اسْتُعْمِلَتِ الْكَلِمَةُ دُونَ حَرْفِ النَّدَاءِ الَّذِي هُوَ " يَا "، جَعَلُوا بِدَلِّهِ هَذِهِ الْمِيمَ الْمُشَدَّدَةَ، فَجَاءُوا بِحَرْفَيْنِ، وَهُمَا الْمِيمَانِ، عِوَضًا مِنْ حَرْفَيْنِ وَهُمَا الْيَاءُ وَالْأَلِفُ، وَالضَّمَّةُ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى الْمَفْرَدِ .

وَذَهَبَ الْفَرَّاءُ وَالْكُوفِيُّونَ إِلَى أَنَّ الْأَصْلَ فِي اللَّهُمَّ: يَا اللَّهُ أَمَّنًا بِخَيْرٍ، فَحَذَفَ وَخَلَطَ الْكَلِمَتَيْنِ، وَإِنَّ الضَّمَّةَ الَّتِي فِي الْهَاءِ هِيَ الضَّمَّةُ الَّتِي كَانَتْ فِي أَمَّنًا، لَمَّا حُذِفَتِ الْهَمْزَةُ انْتَقَلَتِ الْحَرَكَةُ. قَالَ النَّحَّاسُ: هَذَا عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ مِنَ الْخَطِ الْعَظِيمِ، وَالْقَوْلُ فِي هَذَا مَا قَالَ الْخَلِيلُ وَسَيْبَوَيْهِ " انتهى .

والأكثر في الدعاء ، مع لفظ الجلالة خاصة : استعمال ( اللهم ) ، من غير أن يذكر معها "الياء" ، قال ابن مالك في ألفيته:

والأكثر اللهم بالتعويض ... وشذ يا اللهم في قريض

جاء في " توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك " (2 / 1068): " وجه شذوذه أن فيه جمعا بين العوض والمعوض ، ومنه قوله : إني إذا ما حدثتُ أَلَمَّا ... أقول يا اللهم يا اللهم " انتهى .

والحاصل :

أنه لا حرج في الدعاء بلفظ النداء ، مع أسماء الله الحسنى كلها ، وأما لفظ الجلالة "الله" ، فله خصوصية نحوية ، كما سبق بيانه .

والله أعلم .